



عندما ضحك السيسي في أوغندا علي خيبتنا !

بقلم: رائف محمد الويشي

22 ديسمبر 2016

زار المشير السيسي أوغندا في 18 ديسمبر 2016 لمدة يوم واحد ، قيل قبل وبعد الزيارة أن هدفها البحث في أمور إستراتيجية تخص العلاقات بين البلدين ، لم يكن خافيا علي أحد أن تلك الأمور الإستراتيجية هي المياه وأن الأمر يخص مصر فقط ولا أحد غيرها ! لكن الملاحظ أن هذه الزيارة المفاجئة تعبر بجلاء عن الوضع المصري الهش الذي أصبحنا فيه علي كل الأصعدة ، كانت تلك الزيارة الفاشلة عبارة عن عدة صفعات علي وجوه المصريين ، لنستعرض بعض هذه الصفعات (الخيبات) فيما يلي :

* الخيبة الأولى :

المشهد الخارجي للزيارة يوضح أننا قد أكلنا البسكويتة من الإثيوبيين ، فهم يسيطرون علي فرع النيل الأزرق الذي يأتي من خلاله 85 % من مياه مصر ، الزيارة تقر أن هذه النسبة قد أصبحت في مهب الريح ، أو ربما ضاع أغلبها ، وبالتالي يبقى فرع النيل الأبيض ، الذي يخرج من بحيرة فكتوريا التي تسيطر عليها أساسا أوغندا !

وإقرار الفشل في ملف المياه مع إثيوبيا يتحملة النظام الحاكم في مصر أولا وثانيا وأخيرا ، فهو الذي يسيطر (مع أجهزته الأمنية) علي كل صغيرة وكبيرة في مصر !

* الخيبة الثانية :

المشهد الداخلي للزيارة يحمل التفاصيل في المشروع الذي حمله السيسي إلي الرئيس الأوغندي ، فقد ناقش معه إمكانية شق قناة تخرج من بحيرة فكتوريا عن طريق فرع النيل الأبيض لتصل إلي مصر ، هذا هو العمود الفقري للزيارة دون الدخول في تفاصيل يفهمها الفنيون ! المثير أن الصحف المصرية قد صرحت جميعها ، بعد عودة السيسي لمصر ، أن هذا المشروع سوف يستغرق عشرين عاما في تنفيذه ! تكمن معالم الخيبة هنا في أننا في الهم الإثيوبي منذ عدة سنوات وفي جميع وسائل الإعلام والنظام عندما يتعامل معنا في هذه القضية علي وجه الخصوص باستعلاء ودون مصارحة !

- لماذا تأخرت مصر في تلك الزيارة حتي الآن إلي أوغندا ؟!
- من أين الأموال التي ننفقها علي هكذا مشروع بعد أن أضعنا ما كان بأيدينا من حسانات الأشقاء ؟!
- من سيتق بنا مرة أخرى ويعطف علي حالنا بعد أن أخذنا الأموال من الأشقاء وغدرنا بهم بدم بارد في أول فرصة أتاحت لنا ؟!

* الخيبة الثالثة :

ظهرت معالم الخيبة الثالثة أثناء إلقاء الرئيس الأوغندي كلمته أمام السيسي ، فقد قال : " إن أوغندا علي استعداد كي تمد مصر بالحبوب والفواكه واللحوم والأسماك " .. يا صلاة النبي علي الكلام اللي عبارة عن شلاليت تحرق الدم ، هكذا أصبحت مصر بفضل إدارة العسكر ، تستورد حتي البسيط من غذائها ، أي دولة فاشلة بامتياز !!

لو ترك الرئيس الأوغندي العنان لنفسه كي يكمل القائمة التي تحتاجها مصر لأخذ بعض الوقت كي ينتهي منها ، فهناك السكر والأرز والزيوت وحليب الأطفال والدقيق ، هناك الكثير والكثير من قائمة الطعام التي كانت منذ عهد غير بعيد تعتبر من طعام الفقراء ، والآن قد اختفت من طعامهم وأصبحت ضمن قائمة متوسطي الدخل !

العبرة واضحة في معانيها وضوح الشمس في رابعة النهار ، هي تعني أن مصر قد أصبحت خرابة في أبسط المأكولات ، لكن الخيبة الثقيلة تبدو في قمتها هنا من رد الفعل الذي استقبل بها السيسي تلك العبارة التي لا تحمل إلا معاني السخرية من نظام فاشل في مصر ، فبدلاً من الصمت ، عملاً بالقول المعروف : إذا بليتيم فاستتروا ، نراه قد أطلق ضحكة عالية ونظر خلالها إلي السماء تعبيراً عن " الإنشكاح " ، يعني بالبلدي : فطسان من الضحك علي خيبته !!

- لا أدري علي ماذا (أو علي من ؟!) كان يضحك السيسي ؟!
- ألا يعلم أن فضيحة أزمة السكر في مصر قد طافت العالم ؟!
- يدلني أنصاره علي دولة واحدة من دول الدرجة العاشرة يوجد بها أزمة سكر ؟!
- ألا يعلم السيسي أن هناك قائمة أخرى من ضروريات الطعام هي في طريقها أيضاً لتكون كالسكر لانعدام العملة الصعبة التي تستورد بها ؟!
- هل سمع السيسي عن دولة مالي التي كانت تعاني من الذرة فأصبحت من مصدريها بفعل الإدارة الرشيدة في تلك الأزمة ؟!
- يدلني أنصاره علي إنجاز واحد تم في عهده في أي مجال ؟!

* الخيبة الرابعة :

في كل دول العالم سواء كانت صغيرة أم كبيرة ، فقيرة أم غنية ، لا يدخل الحرس الخاص للرئيس الضيف إلي جلسة الاجتماعات التي تجمع الرئيسين ! مهمة حماية الرئيس في جلسة الاجتماعات منوطة بالدولة المضيفة ، هذا عُرف يعلمه كل الرؤساء ، من رؤساء فيجي لوسوتو وجامبيا وحتى رئيس أمريكا !

هناك رؤساء لدول عظمي ، كأمريكا وروسيا والصين ، تزور إفريقيا وتلتقي مع رؤساء تلك الدول ، في مثل تلك الحالات النادرة تسمح الدولة المضيفة بالحرس الخاص للرئيس الذي يمثل دولة عظمي بالدخول علي أطراف غرفة الاجتماع ، لكن دون أن يحملوا سلاحهم ، وفي بعض الحالات النادرة يسمحون لهم بحمل السلاح ، الموقف هنا يتوقف علي حجم العلاقات بين البلدين ودرجة الثقة ، وحجم المساعدات المقدمة من الدولة العظمي لهذا الدولة الفقيرة ..

في حالة المشير السيسي شاهدنا حرسه الخاص وهو يعتقد أنه يمثل دولة عظمي ، فاشتبك بالأيدي مع الحرس الخاص للرئيس الأوغندي بالمقر الرئاسي في كمبالا لأن " البهوات " يريدون الدخول ! وهذه هي المشكلة الأولى ! وبسلاحهم ، وهذه هي المشكلة الثانية الأكبر من الأولى !

تعامل الحرس الأوغندي بكل تهذيب مع الحرس المصري رغم استخدامهم العنف ! أخبروهم بعدم إمكانية الدخول لمكان الاجتماع بسلاحهم ولا بد من تسليمه قبل الدخول ! لكن الحرس المصري أصر فتم استخدام القوة معهم لإيقافهم !

الخبية الرابعة تعتبر خيبة مزدوجة ! أولها لأن السفارة المصرية في أوغندا لم تقم بواجبها بتحديد بروتوكول الزيارة بدقة للوفد المصري ! وثانيها لأن الحرس الخاص المصري لم يكن مدرباً بالأبجديات التي يمكن أن يعرفها ويتقنها شباب في الكشافة بالثانوية العامة بعد حصة تعليمية لمدة نصف ساعة !

أصبح من البديهيات في إفريقيا أن الدبلوماسي المصري يتعامل مع نظيره الإفريقي باستعلاء شديد ، وفي أحيان أخرى باحتقار شديد ! ما زلنا نذكر الشنائم التي قالها دبلوماسي مصري هذا العام وهو جالس بالمنصة مع زميله المصري وهما يظنان أن الميكروفون مغلق ، فسمع الحاضرون من زملائهما الأفارقة الشنائم فيهم والتي لا تخرج إلا في مناطق معينة بالعشوائيات المصرية !

* الخيبة الخامسة :

نقلت الكاميرات الجلسة التي جمعت بين الرئيس الأوغندي والمشير السيسي ، لا أظن أن هناك مصرياً شاهد تلك الصورة التي جمعتها إلا وحزن حزناً شديداً علي المكانة التي أصبحت مصر فيها بسبب العسكر !

كان الرئيس الأوغندي يجلس وقدمه اليميني ممتدة بكاملها ، جلسته تذكرني بجلسات الشباب في النوادي الرياضية ! بينما كان السيسي يجلس بصورة رسمية والابتسامه العريضة تعلق وجهه ، كأنه لا يدري شيئاً عن تلك القدم الممتدة بهذا الأسلوب ! كان سامح شكري يجلس بنفس الابتسامه وهو يدير كامل جسده ناحية الرئيس الأوغندي ، كأنهما في حضور رئيس دولة عظمي !

في كل المدارس الدبلوماسية تعتبر طريقة الجلوس بين الرؤساء واحدة من النقاط الهامة التي يجب أن يتقنها الرئيس جيداً ، فلا يجيد عنها أو يخطأ بها :

- من يمد يده بالسلام أولاً ، ومن يجلس أولاً ، صاحب الأرض أم الضيف ؟ وماذا لو كان كلاهما في أرض مضيفة ثالثة ؟
- ما هي تفاصيل وضع القدم علي القدم ؟
- ماذا لو استقبل الرئيس رئيساً آخر وهو مريض علي كرسي متحرك ؟ هل يسلم عليه جالساً مثله أم يسلم واقفاً ؟

من المهم أيضاً أن نذكر أن طريقة الاستقبال ، وكذلك طريقة الجلوس ، قد يستغلها بعض الرؤساء في توصيل رسائل معينة إلي الضيف ، أفضل من يستخدم هذا الأسلوب هم رؤساء أمريكا ! وقد نقل العالم عنهم ذلك ! ليس عصياً علي الفهم أن ندرك أن رسالة الرئيس الأوغندي - من خلال تلك الجلسة الساخرة - كانت تدل علي عدم احترامه لنظيره المصري !

مازلنا نذكر الدفعة التي تلقاها كبير الحرس للرئيس الإثيوبي من جانب أحد أفراد الحرس المصري ومنعه من أداء مسيرته بالموكب في مطار أديس أبابا أثناء الاستقبال الرسمي للوفد الرئاسي المصري في 24 مارس 2015 !

مازلنا نذكر الفرقة الموسيقية الرئاسية في مصر في 11 فبراير 2015 وهي تعزف السلام الجمهوري الروسي بالخطأ في حضور الرئيس الروسي بوتين ، لقد كان الأمر مثيراً للسخرية للدرجة التي دفعت المذيعين الروس بالقنوات الروسية يصرخون : " هذا ليس هو السلام الروسي ، ما هذا التشاز !!!؟ " ..

مازلنا نذكر حبس جميع الصحفيين لمدة أربع ساعات في نفس تلك الزيارة في مكان مغلق أثناء اجتماع بوتين في القاهرة مع السيسي دون تقديم أي خدمة لهم من طعام وشراب ! وفي نهاية الحبس دخل عليهم بعض العاملين وفي أيديهم بعض الصواني التي بها طعام متواضع لا يتناسب مع كرم المقر الصحفي في روسيا مع الصحفيين ، لكن المضحك ظهر عندما اكتشف الصحفيون الروس أن تلك المأكولات المتواضعة هي للبيع وليست مجانية ، فأخذوا يضحكون ويطلقون نكاتهم الساخرة !

مازلنا نذكر أن روسيا قد ردت علي هذه المهانات عندما دعت السيسي لحضور العرض العسكري الروسي في موسكو في 9 مايو 2015 ، فقد كان يجلس في طرف المنصة وبجانبه أحد كبار السن من قدامى المحاربين ! كما كان يسير في الصف الرابع أو الخامس بعد انتهاء العرض العسكري !

ما زلنا نذكر الحرس الرئاسي المصري وهو يسأل وزير الخارجية الأمريكي جون كيري في 3 سبتمبر 2016 أثناء دخوله في اجتماع مع السيسي في العاصمة الهندية نيودلهي : إنت معاك محمول بكاميرا ؟! هذا بالإضافة إلي خيبة أخري كانت عندما تعرض الوزير كيري لأجهزة الفحص المعدني قبل الدخول !

مازلنا نذكر ما حدث عندما ذهب السيسي إلي نيويورك في 19 سبتمبر 2016 بمناسبة المؤتمر السنوي للجمعية العامة ، هناك اجتمع مع المرشحة الرئاسية هيلاري كلينتون ، وقبل الاجتماع منع الحرس الخاص له أعضاء الحملة الصحفية للمرشحة كلينتون من حمل كاميراتهم ! لك أن تقارن بين هذا التصرف - رغم أنهم في ضيافة بلد آخر - وبين التصرف الذي فعلوه في أوغندا لتجد أن الاستعلاء والإقفال علي الآخرين ، غنيهم وفقيرهم ، قد أصبح سلوكاً عندنا !

مازلنا نذكر عندما صوتت مصر بالأمم المتحدة في 9 أكتوبر 2016 بالموافقة علي قراراتين مضادين لبعضهما البعض بخصوص الأحداث السورية ، لم يحدث في تاريخ الأمم المتحدة هذا العبث ، لكنه يمكن أن يحدث في نظام السيسي !

مصر تمر بمرحلة اللامعقول ، والخيبة عندنا أصبحت بجلاجل !

رائف محمد الويشي

أمريكا

تابع مقالات سابقة علي المدونة:

www.thowarmisr.com